فصلية علمية ـ محكمة نصف سنوية. دراسات حديثة في نهج البلاغة. السنة السادس، العدد الأول (المتوالي ١١)
خريف و شتاء ١٤٠١ ش/ ١٤٤٤ ق. من صفحة ٥١ الى ٦٥

Biannual Scientific Journal *Current Studies in Nahj-ul-Balaghah*.
Vol. 6, No. 1, (Issue 11) Autumn & Winter 2022; pp. 51-65

مقالة پژوهشی

Original Research

الخوف من الموت وطُرُقُ علاجه من منظار نهج البلاغة

ناصر محمدی*[١]، حسن عباسی حسین‌آبادی[٢]

تأريخ الاستلام: ١٤٤٣/١٢/٠٦ تأريخ القبول: ١٤٤٤/٠٨/٠٤

١. أستاذ قسم الفلسفة والكلام، جامعة بيام نور، طهران، ايران
٢. أستاذ مشارك بقسم الفلسفة والكلام، جامعة بيام نور، طهران، ايران

Fear of death and its treatment from the perspective of Nahj al-Balagha

Nasser Mohammadi*[1], Hassan Abbasi Hosseinabadi[2]

Received: 2022/07/06 **Accepted: 2023/02/25**

1. Professor of Philosophy and Theology, Payam Noor University, Tehran, Iran
2. Associate Professor of Philosophy and Theology, Payam Noor University, Tehran, Iran

10.30473/ANB.2023.68474.1372

الملخص

لا شك أنه لا يوجد خوف في الحياة أعظم وأعلى من الخوف من الموت، وهذا الخوف هو أكبر همّ لكل إنسان؛ لأنّ الإنسان يميل بطبية الحال إلى البقاء والحياة الأبدية، وأنّ فكرة الموت والفناء صعبة ومرير له. وقد توصّل هذا البحث – اعتمادا على المنهج الوصفى والتوثيقى، وعلى أساس تحليل المضمون– إلى أنّ هذا السؤال"لماذا نخاف من الموت؟" قد تبدّل في كلام الامام(ع) إلى سؤال: "لماذا يجب أن نخاف من الموت؟"؛ فيحاول الإمام(ع) أن يرسم صورة مخيفة للأيام المشرفة على الموت، والموت نفسه، ومابعد الموت. يبدو أن هذا التصوير يتماشى مع هدف أخلاقي؛ وهو إزالة الغفلة عن النوع البشري الذي صارت الدنيوية هى السمة الغالبة له. الخوف من الموت يرجع إلى سبعة أسباب، والذى يتلخص في ثلاثة أسباب: ضعف المعرفة وعدم فهم حقيقة الموت؛ النظر إلى الجسد باعتباره حقيقة الإنسان والذات الحقيقية؛ والثالث: الخوف من الإثم والعدالة الإلهية، وهو في الحقيقة الخوف من النفس. وطرق التغلب على هذا الخوف هى خمسة طرق جزئية يمكن تقسيمها إلى حلّين عامَّين. طريقة نظرية تتمثل في تعزيز المعرفة والوعى بفلسفة الحياة والموت؛ والاعتبار بموت الآخرين والوعى بعدم جدوى «الخوف من الموت». وطريقة عملية وهى الاستعداد للموت بالعمل الصالح والموت التطوعى.

الكلمات الدليلية: الخوف من الموت؛ فلسفة الموت؛ الموت التطوعي، أنا الحقيقي، الجسم، نهج البلاغة.

Abstract

Undoubtedly, there is no greater fear in life than the fear of death, and this fear is the greatest concern of every human; Becausehuman is inclined to survival and eternal life, and the idea of annihilation and destruction is difficult and unfortunate for him. This articlebased on descriptive and documentary method and based on content analysis has reached the conclusion,"Why do we fear death?"In the words of Imam(a.s.), "Why should we be afraid of death? “Can be delivered. Hazrat Amir(a.s.) is trying to paint a scary picture of the days connected with death, death itself and the events after death. It seems that this depiction is in line with a moral goal; It means to remove the negligence of the human type, whose worldliness is the dominant feature. The fear of death is due to seven reasons, which is reduced to three reasons. Weakness of knowledge and lack of understanding of the truth of death; The conception of the body as the truth of man and the true self; And the third is fear of sin and divine justice, which is actually fear of oneself. But the ways to overcome this fear are five partial ways that can be divided into two general solutions. A theoretical way that consists in strengthening knowledge and awareness of the philosophy of life and death; A lesson and awareness of the death of others and awareness of the futility of fearing death. And a practical way that is preparation and preparation for death through righteous action and voluntary death.

Keywords: Fear of Death, Philosophy of Death, Voluntary Death, Realme Body Nahj al-Balagha.

* **نویسندهٔ مسئول:** ناصر محمدی

***Corresponding Author:** Nasser Mohammadi
Email: naser_mohamadi@pnu.ac.ir

المقدمة

لقد كانت مسئلة «الموت، ضرورة الموت وغايته، التمني للموت، أنواع الموت، العالم بعد الموت، وأخيرا أسباب الخوف من الموت وطرق التغلب عليه» من المسائل المهتمة بها عند الفلاسفة والمتصوفة والمفكرين في العالم. إن قضية الموت وصولاً إلى لحظة الموت هي سبب الخوف والقلق لدى المرء؛ لأن الموت هو نهاية العالم المألوف.«وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَيَكَادُ صَاحِبُهُ يَشْبَعُ مِنْهُ وَيَمَلُّهُ إِلَّا الْحَيَاةَ، فَإِنَّهُ لَا يَجِدُ فِي الْمَوْتِ رَاحَةً، وَإِنَّمَا ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ الْحِكْمَةِ الَّتِي هِيَ حَيَاةٌ لِلْقَلْبِ الْمَيِّتِ وَبَصَرٌ لِلْعَيْنِ الْعَمْيَاءِ وَسَمْعٌ لِلْأُذُنِ الصَّمَّاءِ وَرِيٌّ لِلظَّمْآنِ، وَفِيهَا الْغِنَى كُلُّهُ وَالسَّلَامَةُ »(خ/١٣٣) «الخوف من الموت أمر غريزي وطبيعي لدى كل كائن حي. فالكلُ يتخذون طريقًا للهروب عندما تواجهون الموت. إنّ فكرة الموت من أكثر الأفكار رعبا ودهشة. لا يخاف الإنسان من شيء بقدر ما يخاف من الموت؛ بل يخاف من كل ما يخوّفه من الموت، لأن ذلك الشيء يؤدي إلى موته».(مطهرى،١٣٧٨: ١٨٣)

إن معرفة أنواع المخاوف وطرق علاجها لها مكانة عالية في علم النفس والعلوم التربوية، وقد قال وكتب الفلاسفة وعلماء الأخلاق كثيرًا عن الخوف من الموت بشكل خاص، وهذا البحث يسعى إلى تناول هذه المسألة من منظار الإمام(ع) وتقديم قراءة جديدة لها.

ومن خلال دراسة خلفية البحث، يبدو أن مقالًا واحدًا بعنوان: "حقيقة الموت في القرآن وأسباب الخوف منه عند الإمام علي(ع)" بقلم فاطمة حميدي وزملائها، هو الأكثر ارتباطًا بمقالنا هذا، فمقال السيدة حميدي والزملاء يشبه هذا المقال من ناحيتين؛ لكن نظرة مختلفة لأسباب الخوف، وكذلك تصميم الأسباب من ١ إلى ٣ و٥ و٦، وكذلك تصميم طرق محاربة الخوف من الموت، هي من مبتكرات هذا المقال، مما يجعله مختلفا جدا عن المقال المذكور. والمقالات الأخرى وكذلك الكتب الخمسة التي كتبت في موضوع الموت في نهج البلاغة، تدور بشكل عام حول معرفة الموت أو تنظر إلى الموت بصورة كلية وعامة؛ إلا أنه قد ورد في بعضها بعض أسباب الخوف من الموت.

بناء على ذلك؛ إنّ الخوف من الموت والكرهُ منه من وجهة نظر أمير المؤمنين(ع) له سبعة أسباب، وأنّ دراسة نهج البلاغة تعطينا خمسة طرق للتغلب على هذا الخوف.

وتجدر الإشارة إلى أنه في الإرجاع إلى نهج البلاغة، فإن حرف "خ" يدل على الخطبة، وحرف "ر" يدل على الرسالة، وحرف "ح" يدل على الحكمة.

مفهوم الموت والخوف

«الموت هو فقدان الحياة وغياب المظاهر الحيوية.»(معين،١٣٦٤،ج٤: ٤٠٤٣)«و"الأجل" هو المدة المحددة لشيء ما»(راغب اصفهانى:١٣٩٠: ٢٥)؛أو نهاية زمن العُمر(معين،١٣٦٤،ج١: ١٥٠). يقول العلامة الطباطبايى: «أجل شيء يعنى الوقت الذي ينتهي فيه الكائن في ذلك الزمان ويستقر فيه، ومن هذا الباب معنى «الأجل و مصطلح الدَّين». على أية حال، نهاية الكائن هي الظرف الذي ينتهي فيه الكائن. ولهذا السبب، لقد عُبِّرَ عنه بـ«اليوم»في الآية الشريفة: «قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ «(سباء/٣٠)» (طباطبايى،١٣٦٩: ٦٢-٦١)

لقد قالوا في معنى الخوف؛ "هو احتمال وقوع حدث غير سار بناء على علائم ظنية، كما أن الأمل عبارة عن تمني حصول حدث سار بناء على علامة ظنية أو حدث معلوم. ضد كلمة الخوف، هو كلمة الأمن. فالخوف يستعمل في شؤون الدنيا والآخرة."(راغب الأصفهاني، ١٣٩٠: ٢٦٠-٢٥٩) وكلمة الكُره لها قرابة معنائية كثيرة للخوف، لكن مع اختلاف واحد: الكراهة مشتق من جذر كَرِهَ بفتح الكاف، بمعنى المشقة التي تأتي من الخارج إلى الإنسان ويتحملها على مضض. والكراهة من جذر الكُره بضم الكاف يعني المشقة التي تنبعث من داخل الإنسان وتزعجه.(المرجع نفسه: ٦٧٦).

«الخوف، هو رد فعل عاطفي الذي تسببه تصوُّر أو تخيُّل وقوع الحدث الوشيك. فالخوف هو انتظار الأمر المكروه والمحذور، والانتظار متعلق بالمستقبل"(صليبا، ١٣٦٦: ٣٤٤). «الخوف هو التألُّم الداخلي للإنسان

من تَوَقُّع المكروه الذي سببُ حصوله أمرٌ ممكن الوقوع أو يُظنُّ وقوعه» (سجادي، ١٣٧٠: ٣٧٧ ونراقي، لاتا: ١١٤).

ولذلك فإن الفرق بين الخوف والكراهة هو أن الخوف متعلق بالخوف بالمستقبل؛ لكن الكراهة تتعلق بالحال. ومصدر التألم والانفعال النفساني في الخوف هو الأمر المكروه الذي سيأتي في المستقبل- ولو كان في المستقبل القريب- أما في الكراهة، فإن مصدر الخمول العاطفي هو الأمر غير السارّ الذي قد حصل بالفعل. بعبارة أخرى، إنّ الشيء المكروه الحاضر، بسبب احتمال صعوبته، يخلق حالة جسدية من الاشمئزاز في النفس، والحالة التي يخلقها الشيء المكروه المتوقع حدوثه في المستقبل القريب في النفس، تسمى الخوف. بالتالي، فإنه عند مواجهة المكروه، يختفي الخوف وينتج الكراهية بدلاً من ذلك. في هذا البحث، الموت أمر مكروه، كلما لوحظ حدوثه في المستقبل، يحدث في النفس حالة من الرهبة أو الخوف، وعندما يأتي لقاؤه ويتأكد حدوثه، يحدث حالة من الكراهية وعدم الرضا والراحة في الروح. الخوف من الموت ناظر إلى المستقبل القريب، أما الكراهية والاستياء من الموت تتعلق بالأمر الحاضر. رغم ذلك، يمكن استخدام هاتين الكلمتين مكان بعضهما البعض؛ لأن في كل خوف نوع من الكراهية، وأنّ كل كراهية يسبقها الخوف.

تعريف الموت من وجهة نظر الإمام علي

لقد حصل من خلال التدقيق في توصيف حضرة الأمير(ع) للموت في نهج البلاغة، هذا التعريف: الموت نقطة مضادة للحياة: إنّما خلقت....للموت لا للحياه(ر/٣١) وأنه حقيقة شاملة: فإنّه والله الجدّ لا اللعب و الحق لا الكذب و ما هو الّا الموت اسمع داعية و اعجل حادية(خ/١٣٢) والذي يتحقق عندما تخرج الروح من الجسد والنفس تقاد إلى الآخرة بهذه الطريقة: الأجل مساق النفس(خ/١٤٩). الموت هو نهاية الميلاد في هذا العالم ونهاية عالم المرء ؛ لأن العالم مكان تمر فيه الروح، وليس مكانًا تعيش فيه الروح. من منظار الإمام(ع) إن الموت أمر تدريجي، ولا يحدث دفعة واحدة.

أسباب الخوف أو النفور من الموت

لقد استنتج كُتّاب هذا البحث سبعة أسباب لهذا الخوف من كلام الإمام(ع). ويبدو أن بعض هذه الأسباب جديدة بطريقتها الخاصة ولم تحظى باهتمام كبير في أبحاث الباحثين في هذا المجال. وقد تم تحليل كل سبب واختزاله في عدة أسباب أصغر وأكثر تفصيلاً، مما يدل على عمق اهتمام الإمام(ع) ودقته في مسألة الموت.

الإبهام والغموض في الموت

ومن أسباب الخوف من الموت هو القصور المعرفي لدى الإنسان فيما يتعلق بظاهرة الموت. وهذا يعني أن الموت شيء مجهول، ولا يمكن أن يتعرّف عليه بأية طريقة معروفة؛ إلا بعد أن يختبر الموت، وفي هذه الحالة لا يمكن أن يتكلمّ عنه ويشرحه؛ فهي تجربة بلا عودة. فالإنسان لا يدري ما الموت وماذا سيفعل به؛ وهذا يضع أمامه صورة مخيفة، ويضع المواجهة مع الموت في ظلام دامس وغموض وهذا يصبح سبباً للخوف في حد ذاته. ويبدو أنه ليس لدينا طريق إلى التعرّف على حقيقة الموت، وأنّ معرفة الموت معرفة سرية وخفية محصورة في دائرة الإرادة إلهية. وقد ضرب الإمام(ع) مثالين على غموض الموت وإبهامه:

الف- الموعد المبهم للموت

موت كل شخص له وقت محدد. يقول العلامة الطباطبائي عن الأجل المسمّى وتسمية الأجل في الآية الشريفة. ماخلق الله السموات و الأرض و ما بينهما إلّا بالحقّ و أجل مسمّى(روم/٨٠):«لذلك فإن كل كائن في السماوات والأرض وما بينهما، يقتصر وجوده على الأجل الذي سمى الله به، أي عيّنه وقدّره، بحيث لا يتجاوز أي موجود أجله؛ كما قال تعالى: وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ(أعراف/٣٤) وهناك آيات كثيرة أخرى بنفس الموضوع» (طباطبايى،١٣٦٩: ٦١) لكن هذا الوقت المحدد والمعلوم مخفي عن البشر وغيرهم من المخلوقات. وقد قصد الإمام أن يشير إلى أهمية هذا الغموض والإبهام في موعد الموت بأهميته ويعتبره من أسباب شقاء بني آدم:

مسكين إبن آدم مكتوم الأجل (خ/٤١٩) كما أنه(ع) يعتبر عدم العلم بما تبقّى من الحياة المحتومة والمقررة للإنسان أمراً مهماً ونقطة ضعف له: و قدّر لكم أعمارا سترها عنكم(خ/٨٣)

أو يشبه الخيل العظيم من الناس بالقافلة المتوقفة التي تنتظر الأمر ليتحرك. ولا شك أن هذا الجهل بموعد انطلاق القافلة يشكل مفاجأة وتأخيراً لأصحاب القوافل: فإنّما أنتم كركب وقوف لايدرون متى يؤمرون بالسير(خ/١٥٧)

ب– علة الإبهام في عدم معرفة موعد الموت

والأمر الآخر هو أن سبب وفاة كل شخص غير معروف؛ هل هو كان مريضا؟ هل الموت كان طبيعيا أم كان غير طبيعي؟ وقد ذكر أمير المؤمنين(ع) هذه الحقيقة أيضاً في قوله: إنّ لكلّ أجل وقتا لايعدوه و سببا لايتجاوزه(خ/١٩٣) أو يقول: لا يشعر أحد بملك الموت يدخل بيته، ولا يراه عندما يقبض روحه.(خ/١١٢)

٢–٢ الصورة المرعبة للموت

في نهج البلاغة، غالباً ما يتم تصوير الموت على أنه وجه مرعب ومخيف. وهذا التصوير يبدو أنه متعمد يهدف إلى إيقاظ عُبّاد الدنيا وعشاقها، وبهذه الطريقة يُظهِرُ الإمام(ع) وجهَ الموت الحقيقي لعُبَّاد الدنيا مع الوجه المذهل والمخيف الذي يُظهِرُه للموت. لقد تمّ تصوير الوجه المخيف للموت بعدة طرق:

الف– الموت عدوٌّ لدود

في بعض الأحيان يظهر الموت كعدو عنيد ضد الإنسان: على سبيل المثال، في الخطبة ٢٣٠، يوصف الموت بهذه الطريقة: زائر غيرمحبوب، قرن غيرمغلوب، واتر غير مطلوب، عظمت فيكم سطوته و تتابعت عليكم عدوته، قد أعلقتكم حبائله و تكنّفتكم غوائله، اقصدتكم معابله و قلّت عنكم نبوته.

ب– الموت القريب

ومن الجوانب المرعبة الأخرى للموت هى قربه من الإنسان، كما يقول الإمام: إنّ الموت الذي كنتم تنتظرونه قادم وقريب(ح/١٠٣). ما دام الإنسان على قيد الحياة، فهو قريب جدًا من الموت؛ وسوف ينضم قريباً إلى الموت، وكلما مات، فسيكون بعيداً عن الحياة الدنيا، لأنه منفصل عنها.(خ/١١٤) ولن يعود إليها أبداً.

فإذا كان كل نَفَس خطوةً نحو الموت(ح/٧٤) والموت ينظر عن كثب إلى الإنسان(خ/٢٢١) ويحدّق فيه النظر وكأنه قد أنشب مخالبه فيه(خ/٢٠٤) وظلمة سحابه أحاطت به(خ/٢٣٠)) وينزل عليه في مأوا ه ومأمنه(ح/١١٥) –فإذا كان كذلک– فالموت رحيل قريب(ح/١٨٧) و قريب ما يطرح الحجاب(خ/٢٠) يأتي فجأة(خ/ و٢٣٠و١١٤) ولايمهل الإنسان(خ/١٨٩ وعلى هذا ينبغى الحذر من الموت وقربه(ن/٢٧) وينبغي أن يكون الإنسان مستعدًا و جاهزاً لإجابة دعوة رحيله(خ/٢٠٤).

ج– الموت الذي لا يغفل عن الإنسان

وأخيرًا، فقد تمت الإشارة في كثير من الأحيان في نهج البلاغة إلى أن الموت لا يتوقف عن عمله أبدًا، حتى لو غفل عنه الإنسان أو تجاهله؛ ولكنه ليس غافلاً عن البشر، وهذا وجه آخر من جوانب رعب الموت؛ لا يهمل في أخذ الحياة ويبحث عن الفرصة المناسبة.

يدير الإنسان ظهره للموت، لكن الموت قادم نحوه[1] (ح/٢٩) ومع أن الإنسان غافل عن الموت(وهو قلق على دنياه ويعتبر نفسه خالدا في هذه الدار)، إلا أن الموت ليس غافلا عنه.(خ/٩٩ و خ/١٨٨ و ح/٢٠٣)[2] ويكمن للوثوب عليه.

الآلام والمعاناة التي تؤدي إلى الموت

لقد تحدث أمير المؤمنين مرارًا عن الآلام والمعاناة والأمراض التي تؤدي إلى الموت. إنّ الخوف الذي ينتاب الناسَ عادة في لحظات ما قبل الموت هو أحد الأسباب المهمة للخوف من الموت، والذي تعامل معه الإمام

---

١. إذا كنت فى إدبار و الموت فى إقبال فما اسرع الملتقى

٢. وكيف غفلتكم عمّا ليس بغفلكم(خ/١٨٨) وطالب الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه(خ/٩٩) وبادروا الموت الذى...إن نسيتموه ذكركم(ح/٢٠٣)

بشكل جيد وقدّم له صورة واقعية ومرعبة كأنه قد عاش هذه اللحظات بنفسه. يتم التعبير عن هذا الخوف أحياناً بطريقة عامة؛ مثل هاتين الفقرتين من نهج البلاغة:بادروا الموت و غمراته(خ/١٩٠)

و احتدام علله و حنادس غمراته و غواشي سكراته(خ/٢٣٠)

وأحياناً ينقسم هذا الخوف إلى عدة مخاوف أو مراحل بشكل أكثر تفصيلاً:

الف– الأمراض التي تؤدي إلى الموت

وهذا هو الخوف الذي يشغل ذهن الإنسان وأفكاره، خاصة في منتصف العمر وأوائل الشيخوخة، ورؤية أمراض الشيخوخة والتفكير في وقت الوفاة. وفي الخطبة ٢٢١ نقرأ ما يلي عن بداية المعاناة والألم من الأمراض التي تؤدي إلى الموت:

ينتابه حزن غير متوقع؛ والأحزان السرية التي لم يفكر فيها لحد الآن. تظهر الأمراض فيه وقد كان مصحوباً بالصحة والعافية. ويلجأ إلى الأطباء الذين يريدون تخفيف الحرارة بالبرد والبرد بالحرارة؛ لكن البرودة تزيد الحرارة والدفء، والدفء يثير البرودة، والتركيبات والأخلاط لا تعدل المزاج بل أنها تزيد المرض.(خ/٢٢١) يقضي أيامه في عجب وتيه ولياليه في يقظة وقلق.[١](خ/٨٣)

ب– لحظات الاحتضار الصعبة

لا شك أن ألم الموت ومعاناة نزع الروح، الذي يحدث في لحظة انفصال الروح عن الجسد، هو خوف أشد بكثير من الخوف الأول. ويصف الإمام هذه اللحظات بدقة ووضوح: فبينما هو على وشك ترك الدنيا وأصدقائه، فجأة يصيبه حزن شديد، يربك أفكاره الصحيحة، ويجف لسانه..[٢](خ/٢٢١)

علاوة على ذلك، فإن لحظات الموت مميتة: يصحبها آلام شديدة[٣](خ/٢٣٠) والمعاناة والأمراض الليلية[٤](خ/٨٣) التي تقطع الآمال والأحلام[٥](خ/٨٣) في حالة التخدير وسكرات الموت[٦](خ/٢٣٠ و ٨٣) بأنات مؤلمة وأنفاس صعبة واحتضار مميت[٧](خ/٨٣).

وفي الخطبة ١٠٩ يقول عن لحظات الموت وأسراره: تأتي عليه صعوبة نزع الروح والندم على فقدان الدنيا، ويضعف جسده ويفقد لونه، ويغطي الموت جميع أعضائه ببطء. في البداية يتوقف لسانه عن الكلام، وبينما هو يرقد بين أهله، ويرى ويسمع بعينيه وأذنيه، وعقله سليم، يستمر الموت في جسده حتى تفشل أذناه مثل لسانه. و لا يستطيع أن يتكلم بين أهل بيته بلسانه، ولا يستطيع أن يسمع بأذنيه. ينظر باستمرار إلى وجوههم، ويرى حركات ألسنتهم، لكنه لا يسمع صوت كلماتهم. فيضعف بصره مثل أذنيه. ثم تخرج الروح من جسده وتبقى على الأرض ميتاً بين أهله.[٨](خ/١٠٩)

بينما يعتبر ابن سينا، وخواجة نصير الدين الطوسي، وجلال الدين الدواني، وأبو علي مسكويه أن لحظة الموت غير مؤلمة. فمثلا لابن مسكويه كلام في هذا الموضوع في طهارة الأعراق: «أما من كان خوفه من الموت بسبب الألم الذي تصوره، فالعلاج هو أن نبين له أن هذا التصور باطل وغلط. لأن الألم تحسه الإنسان الحيّ، وطالما أن الإنسان حي فهو متقبل لتأثيرات الروح. لكن الجسد الذي يفتقر إلى التنفس لا يتألم. فالموت، وهو انفصال الروح عن الجسد، ليس له ألم على الإطلاق؛ لأنه لم يعد هناك إحساس وتأثير للروح في الجسد، والجسد ليس له إحساس فكيف يتصور له الألم؟ الموت هو فراق الجسد الذي كان معه وفيه.»(ابن‌مسكويه

---

١. فظلّ سادرا و بات ساهرا.

٢. فبينا هو كذلك على جناح من فراق الدنيا وترك الأحبّة إذ عرض له عارض من غصصه فتحيّرت نوافذ فطنته ويبست رطوبة لسانه.

٣. وحنادس غمراته.

٤. وطوارق الأوجاع و الأسقام.

٥. ارهقتهم المنايا دون الآمال.

٦. وغواشي سكراته.

٧. وأنّه موجعة وجذبة مكربة وسوقة متعبة.

٨. اجتمعت عليهم سكرة الموت وحسرة الفوت، ففترت لها اطرافهم و تغيّرت لها الوانهم، ثمّ ازداد الموت فيهم ولوجا فحيل بين أحدهم وبين منطقه وإنه لبين أهله وينظر ببصره ويسمع باذنه على صحّه من عقله وبقاء من لبّه فلم يزل الموت يبالغ فى جسده حتى خالط لسانه سمعه فصار بين أهله لاينطق بلسانه ولايسمع بسمعه، يردّد طرفه بالنظر فى وجوههم، يرى حركات ألسنتهم ولايسمع رجع كلامهم، ثمّ ازداد الموت التياطا به فقبض بصره كما قبض سمعه و خرجت الروح من جسده فصار جطفه بين أهله.

رازی،١٣٧٥: ٢٥٥)

والجمع بين هذين القولين هو أن كلام الإمام(ع) يشير إلى سكرات وعنات قرب الموت؛ لكن الكلام أعلاه يشير إلى لحظة الموت وانفصال الروح، حيث يصبح الجسد بلا روح وبالتالي بلا ألم.

ج- سلوك وكلام الأشخاص المحيطين به وعجزه

وهذه معاناة لا يمكن للإنسان أن يتخيلها إلا بعد أن يختبرها. لكن في نهج البلاغة تم تصوير هذه المعاناة التي هي مؤلمة جداً إذا تم تصويرها بشكل جيد. وقد أضاف الإمام هذا القلق والخوف إلى المخاوف المفضية إلى الموت. وقد جاء في الخطبة رقم ٢٢١ وصف لهذا الوضع المقلق كما يلي: حَتَّى فَتَرَ مُعَلِّلُهُ وَذَهَلَ مُمَرِّضُهُ وَتَعَايَا أَهْلُهُ بِصِفَةِ دَائِهِ وَخَرِسُوا عَنْ جَوَابِ السَّائِلِينَ عَنْهُ وَتَنَازَعُوا دُونَهُ شَجِيَّ خَبَرٍ يَكْتُمُونَهُ. فَقَائِلٌ يَقُولُ هُوَ لِمَا بِهِ وَمُمَنٍّ لَهُمْ إِيَابَ عَافِيَتِهِ وَمُصَبِّرٌ لَهُمْ عَلَى فَقْدِهِ يُذَكِّرُهُمْ أُسَى الْمَاضِينَ مِنْ قَبْلِهِ. فَكَمْ مِنْ مُهِمٍّ مِنْ جَوَابِهِ عَرَفَهُ فَعَيَّ عَنْ رَدِّهِ، وَدُعَاءٍ مُؤْلِمٍ بِقَلْبِهِ سَمِعَهُ فَتَصَامَّ عَنْهُ، مِنْ كَبِيرٍ كَانَ يُعَظِّمُهُ أَوْ صَغِيرٍ كَانَ يَرْحَمُهُ.(خ/٢٢١)

التعلق بالدنيا والخوف من تركها

هذا الخوف مؤلم بشكل خاص لطالبي الدنيا. ولذلك كان الإمام(ع) يؤكد باستمرار على أن الموت هو انقطاع الملذات والمصالح الدنيوية والشرفات والمناصب، وهذا أمر مزعج ومخيف لمن لا يستطيع التحرر من الدنيا وتَعَلَّقَ بها بشدة. ويتجلى هذا الخوف أيضًا في ثلاثة ألوان:

الف- انقطاع اللذات

أحياناً يتحدث حضرة الأمير(ع) بشكل عام عن الموت وقطع العلاقات الدنيوية وحب الدنيا[١]، ويثير بهذه الطريقة الخوف والذعر، ويتحدث في الوقت نفسه عن عدم دوام الملذات والشهوات الدنيوية ويطالب بقطع هذه العلاقات طوعاً:

- اذكروا انقطاع اللذات وبقاء التبعات(ح/٤٣٣)
- فإنّ الموت هادم لذّاتكم ومكدّر شهواتكم(خ/٢٣٠)
- ايّاک أنينزل بک الموت وأنت آبق من ربّک فی طلب الدنيا(ن/٦٩)
- فقطّعوا علائق الدنيا واستظهروا بزاد التقوى(خ/٢٠٤)

وقبل هذه الجملة يتحدث أمير المؤمنين عن الموت ومعاناته.

- وطالب الدنيا والموت يطلبه(خ/٩٩)

وأحيانًا يثير الإمام الخوف في الإنسان المصاب بالدنيا ويشجعه لكى يعتبر بالذين سعوا في سبيل الحصول على الدنيا ولم يعودوا بيننا اليوم: و قدرأيت من كان قبلک ممّن جمع المال وحذر الإقلال وأمن العواقب- طول أمل واستعباد أجل- كيف نزل به الموت فأزعجه عن وطنه وأخذه من مأمنه. أما رأيتم الذين يأملون بعيدا ويبنون مشيدا ويجمعون كثيرا(خ/١٣٢)

ب- فقدان الكرامة والجمال

الموت يدمر كرامة الإنسان وشرفه ومجده وجماله الجسدي. يقول الإمام في هذا الصدد: الموت هو زوال الكرامات الثابتة والدرجات الرفيعة من الشرف والملوك والرعايا المفتخرين.... الموت هو تحول الوجوه الجميلة إلى وجوه ذابلة واضمحلال الأجساد المدللة وتدمير الوجوه الجميلة والمتحولة.[٢](خ/٢٢١)

ج- عالم بدون أنا

فكرة عدم وجود المرء في هذا العالم وهناك آخرون، وتدمير ممتلكاته وأعماله وعلاماته تدريجياً أو تسليمها للآخرين، هي فكرة مؤلمة: فأسكت نجيّكم وفرّق نديّكم وعفّى آثاركم وعطّل دياركم وبعث ورّاثكم يقتسمون تراثكم بين حميم خاص لمينفع وقريب محزون لم يمنع و آخر شامت لميجزع(خ/٢٣٠)

---

١. تجدر الإشارة إلى أن المذموم هو حب الدنيا، وليس الدنيا نفسها، فالعالَم ملك ومشهد لمظاهر جمال الحق ومهد الحق وتربية أولياء الله وعرفائه وعلمائه، وموطن تكميل نفوس البشر ومزرعة للآخرة. ربما ليس لأحد حظ في الدنيا ولكن قلبه متعلق بها وهو من أهلها، وربما ليس لأحد حظ في الدنيا ولكن له مال وعز وجمع بين الدنيا والآخرة ولا يعتبر من أهلها(الامام الخميني: ١٣٦٠: ٥٦-٥٧)

٢. الذين كان لهم مقاوم العزّ وحلبات الفخر، ملوكا وسوقا سلكوا فی بطون البرزخ البرزخ سبيلا...كلحت الوجوه نواضر وخوت الاجسام النواعم ولبسنا اهدام البلی...

الخوف من كسر سلسلة الأحلام

ما دام الإنسان في هذه الدنيا يَعِدُ نفسه أحلاماً كبيرة ويسعى دائماً إلى تحقيقها، ويصبح الموت فجأة عائقاً وحاجزاً بين الإنسان ورغباته وأمنياته البعيدة. إن كون الموت يجعل بين المرء وبين أحلامه مسافة إلى الأبد، هذا هو سبب الخوف الذي يعشّش في عقل الإنسان ويزعجه. إن تعايش الأمل والموت في عدة فقرات من نهج البلاغة دفع مؤلفي هذا المقال إلى اعتبار هذا السبب سبباً منفصلاً، رغم أنه ليس منفصلاً عن السبب السابق، ولكن تأكيده وكثرته في نهج البلاغة والأقوال التالية دليل على هذا الادعاء:- لو رأى العبد الأجل و مصيره لأبغض الأمل و غروره(ح/٣٣٤)

- فإنّ الموت مباعد طيّاتكم(خ/٢٣٠)
- فإنّ الناس يوشک أن ينقطع بهم الأمل و يرهقهم الأجل(خ/١٨٣)
- و أرهقهم المنايا دون الآمال(خ/٨٣)
- ألا وإنّكم فى أيّام أمل من ورائه أجل(خ/٢٨)
- المرء يشرف على أمله فيقتطعه حضور أجله فلا أمل يدرک(خ/١١٤)
- فكأنّ قد علقتكم مخالب المنبّه و انقطعت منكم علائق الأُمنيّة(خ/٨٥)

الخوف من القبر

بعض المخاوف تتعلق بالقبر، وهنا ليس معنى القبر عالم البرزخ أو عالم القبر؛ بل يعني القبر الترابي والجسد المادي الموجود داخله. وينقسم هذا الخوف أيضًا إلى خوفين:

الف- الأحداث التي تحدث للجسد

والمراد بالأحداث، هى التي تحدث في المقابر الترابية في هذا العالم بعد موت جسد الإنسان. إن ما يحدث على الجسد الأرضي ليس مهمًا جدًا بناءً على أصالة الروح وانفصال الروح عن الجسد، ولكن بلا شك بالنسبة لأولئك الذين يعتمدون على الجسد وكل جهودهم منشغلة في تغذية الجسد وتوفير احتياجات ورغبات الجسم؛ والخوف مما سيحدث لجسدهم المدلل، هو أحد أسباب الخوف من الموت. وأساس هذا الخوف هو أن هذا الشخص يظن أن جسده هو نفسه الحقيقي ويتخيل أنه بتدمير جسده ستدمر ذاته الحقيقية. ويذكر الإمام ما يفعله القبر بجسد الإنسان هكذا:

وَقَدْ غُودِرَ فِي مَحَلَّةِ الْأَمْوَاتِ رَهِيناً، وَفِي ضِيقِ الْمَضْجَعِ وَحِيداً، قَدْ هَتَكَتِ الْهَوَامُّ جِلْدَتَهُ، وَأَبْلَتِ النَّوَاهِكُ جِدَّتَهُ، وَعَفَتِ الْعَوَاصِفُ آثَارَهُ، وَمَحَا الْحَدَثَانُ مَعَالِمَهُ، وَصَارَتِ الْأَجْسَادُ شَحِبَةً بَعْدَ بَضَّتِهَا، وَالْعِظَامُ نَخِرَةً بَعْدَ قُوَّتِهَا، وَالْأَرْوَاحُ مُرْتَهَنَةً بِثِقَلِ أَعْبَائِهَا مُوقِنَةً بَغَيْبِ أَنْبَائِهَا، لاَ تُسْتَزَادُ مِنْ صَالِحِ عَمَلِهَا، وَلاَ تُسْتَعْتَبُ مِنْ سَيِّيءِ زَلَلِهَا!(خ/٨٣)

كَلَحَتِ الْوُجُوهُ النَّوَاضِرُ وَخَوَتِ الْأَجْسَامُ النَّوَاعِمُ وَلَبِسْنَا أَهْدَامَ الْبِلَى وَتَكَاءَدَنَا ضِيقُ الْمَضْجَعِ وَتَوَارَثْنَا الْوَحْشَةَ وَ[تَهَدَّمَتْ] تَهَكَّمَتْ عَلَيْنَا الرُّبُوعُ الصُّمُوتُ، فَامْحَتْ مَحَاسِنُ أَجْسَادِنَا وَتَنَكَّرَتْ مَعَارِفُ صُوَرِنَا وَطَالَتْ فِي مَسَاكِنِ الْوَحْشَةِ إِقَامَتُنَا وَلَمْ نَجِدْ مِنْ كَرْبٍ فَرَجاً وَلَا مِنْ ضِيقٍ مُتَّسَعاً؛ فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ بِعَقْلِكَ أَوْ كُشِفَ عَنْهُمْ مَحْجُوبُ الْغِطَاءِ لَكَ وَقَدِ ارْتَسَخَتْ أَسْمَاعُهُمْ بِالْهَوَامِّ فَاسْتَكَّتْ وَاكْتَحَلَتْ أَبْصَارُهُمْ بِالتُّرَابِ فَخَسَفَتْ وَتَقَطَّعَتِ الْأَلْسِنَةُ فِي أَفْوَاهِهِمْ بَعْدَ ذَلَاقَتِهَا وَهَمَدَتِ الْقُلُوبُ فِي صُدُورِهِمْ بَعْدَ يَقَظَتِهَا وَعَاثَ فِي كُلّ جَارِحَةٍ مِنْهُمْ جَدِيدُ بِلًى سَمَّجَهَا وَسَهَّلَ طُرُقَ الْآفَةِ إِلَيْهَا مُسْتَسْلِمَاتٍ، فَلَا أَيْدٍ تَدْفَعُ وَلَا قُلُوبٌ تَجْزَعُ لَرَأَيْتَ أَشْجَانَ قُلُوبٍ وَأَقْذَاءَ عُيُونٍ لَهُمْ فِي كُلّ فَظَاعَةٍ صِفَةُ حَالٍ لَا تَنْتَقِلُ وَغَمْرَةٌ لَا تَنْجَلِي.(خ/٢٢١).

ب- صمت القبر وسكونه

إن الصمت والسكون المطلق الذي ينتظر الجسد، بعد سنوات من الحركة والديناميكية في العالم المادي بحركات إرادية، أمر مخيف للغاية. الوحدة والصمت والسكون الخالص والتحول إلى جسد بلا شعور وحركة ودون تواصل مع الآخرين أمر مرعب. والمقاطع التالية من نهج البلاغة تشهد على هذا الادعاء:

- لَا يُفْزِعُهُمْ وُرُودُ الْأَهْوَالِ وَلَا يَحْزُنُهُمْ تَنَكُّرُ الْأَحْوَالِ وَلَا يَحْفِلُونَ بِالرَّوَاجِفِ وَلَا يَأْذَنُونَ لِلْقَوَاصِفِ، غُيَّباً لَا يُنْتَظَرُونَ وَشُهُوداً لَا يَخْضُرُونَ وَإِنَّمَا كَانُوا جَمِيعاً فَتَشَتَّتُوا وَ[أُلَّافاً] آلَافاً فَافْتَرَقُوا؛ وَمَا عَنْ طُولِ عَهْدِهِمْ وَلَا بُعْدِ

مَحَلِّهِمْ عَمِيَتْ أَخْبَارُهُمْ وَصَمَّتْ دِيَارُهُمْ وَلَكِنَّهُمْ سُقُوا كَأْساً بَدَّلَتْهُمْ بِالنُّطْقِ خَرَساً وَبِالسَّمْعِ صَمَماً وَبِالْحَرَكَاتِ سُكُوناً، فَكَأَنَّهُمْ فِي ارْتِحَالِ الصِّفَةِ صَرْعَى سُبَاتٍ جِيرَانٌ لَا يَتَأَنَّسُونَ وَأَحِبَّاءُ لَا يَتَزَاوَرُونَ. بَلِيَتْ بَيْنَهُمْ عُرَا التَّعَارُفِ وَانْقَطَعَتْ مِنْهُمْ أَسْبَابُ الْإِخَاءِ فَكُلُّهُمْ وَحِيدٌ وَهُمْ جَمِيعٌ وَ بِجَانِبِ الْهَجْرِ وَهُمْ أَخِلَّاءُ.(خ/٢٢١)

– فَيَا لَهُ مِنْ بَيْتِ وَحْدَةٍ وَ مَنْزِلِ وَحْشَةٍ وَ مُفْرَدِ غُرْبَةٍ(خ/١٥٧)

– يَا أَهْلَ الدِّيَارِ الْمُوحِشَةِ وَالْمَحَالِّ الْمُقْفِرَةِ وَالْقُبُورِ الْمُظْلِمَةِ يَا أَهْلَ التُّرْبَةِ يَا أَهْلَ الْغُرْبَةِ يَا أَهْلَ الْوَحْدَةِ يَا أَهْلَ الْوَحْشَةِ(ح/١٣٠)

– حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا يُدْعَوْنَ رُكْبَاناً، وَأُنْزِلُوا الْأَجْدَاثَ فَلَا يُدْعَوْنَ ضِيفَاناً، وَجُعِلَ لَهُمْ مِنَ الصَّفِيحِ أَجْنَانٌ وَمِنَ التُّرَابِ أَكْفَانٌ وَمِنَ الرُّفَاتِ جِيرَانٌ، فَهُمْ جِيرَةٌ لَا يُجِيبُونَ دَاعِياً وَلَا يَمْنَعُونَ ضَيْماً وَلَا يُبَالُونَ مَنْدَبَةً، إِنْ جِيدُوا لَمْ يَفْرَحُوا وَإِنْ قُحِطُوا لَمْ يَقْنَطُوا، جَمِيعٌ وَهُمْ آحَادٌ وَجِيرَةٌ وَهُمْ أَبْعَادٌ، مُتَدَانُونَ لَا يَتَزَاوَرُونَ وَقَرِيبُونَ لَا يَتَقَارَبُونَ، حُلَمَاءُ قَدْ ذَهَبَتْ أَضْغَانُهُمْ وَجُهَلَاءُ قَدْ مَاتَتْ أَحْقَادُهُمْ، لَا يُخْشَى فَجْعُهُمْ وَلَا يُرْجَى دَفْعُهُمْ، اسْتَبْدَلُوا بِظَهْرِ الْأَرْضِ بَطْناً وَبِالسَّعَةِ ضِيقاً وَبِالْأَهْلِ غُرْبَةً وَبِالنُّورِ ظُلْمَةً.(خ/١١١)

الخوف من أحداث مابعد الموت [1]

لا شك أن من أهم عوامل الخوف من الموت هو الخوف من أحداث ما بعد الموت. فالخوف من العدل والعقاب الإلهي والوفاء بوعود الأنبياء من أسباب الخوف من الموت. وفي الفقرات التالية يؤكّد أمير المؤمنين على ضرورة الخوف من عذاب الآخرة. وفي الخطبة ١٩٠ نقرأ:

– وقبل بلوغ الغايه ما تعلمون من ضيق الأرماس و شدّه الأبلاس وهول المطّلع و روعات الفزع(خ/١٩٠)

– فى موقف ضنک المقام وامور مشتبهه عظام ونار شديد كلبها، عال لجبها، ساطع لهبها، متغيظ زفيرها، متأجّج سعيرها، بعيد خمودها، ذاک وقودها، مخوف وعيدها، عم قرارها، مظلمه أقطارها، حاميه قدورها، فظيعه امورها(خ/١٩٠)

– أُقْعِدَ فِي حُفْرَتِهِ نَجِيّاً لِبَهْتَةِ السُّؤَالِ وَعَثْرَةِ الِامْتِحَانِ وَأَعْظَمُ مَا هُنَالِكَ بَلِيَّةً نُزُولُ الْحَمِيمِ وَتَصْلِيَةُ الْجَحِيمِ وَفَوْرَاتُ السَّعِيرِ وَسَوْرَاتُ الزَّفِيرِ لَا فَتْرَةٌ مُرِيحَةٌ وَلَا دَعَةٌ مُزِيحَةٌ وَلَا قُوَّةٌ حَاجِزَةٌ وَلَا مَوْتَةٌ نَاجِزَةٌ وَلَا سِنَةٌ مُسَلِّيَةٌ بَيْنَ أَطْوَارِ الْمَوْتَاتِ وَعَذَابِ السَّاعَاتِ إِنَّا بِاللَّهِ عَائِذُونَ(خ/٨٣)

– اذكروا انقطاع اللذات وبقاء التبعات(ح/٤٣٣)

– فإنّه يأتى بأمر عظيم وخطب جليل بخير لايكون معه شرّ أبدا أو شرّ لايكون معه خير أبدا(ر/٢٧)

– أوحشوا ماكانوا يوطنون وأوطنوا ماكانوا يوحشون واشتغلوا بمافارقوا وأضاعوا ما إليه انتقلوا(خ/١٨٨)

– أمامكم عقبه كؤودا ومنازل مخوفه مهوله لابدّ من الورود عليها والوقوف عندها(خ/٢٠٤)

– يا بنيّ أكثر من ذكر الموت واذكر ماتهجم عليه وتفضى بعد الموت إليه(ر/٣١)

– لوعاينتم ما قد عاين من مات منكم لجزعتم و وهلتم وسمعتم و أطعتم(خ/٢٠)

طرق التغلب على الخوف والكراهية من الموت

والآن في هذا الباب يتم التعبير عن السيطرة على هذا الخوف من منظار الإمام علي (ع) في عدة مراحل. هذه الأساليب لا تحل بالضرورة محل بعضها البعض ولكنها تكمّل بعضها البعض؛ بمعني أنه باستخدام طريقة من هذه الطرق، لا نستغنى عن استخدام الطرق الأخرى، لأنها تكمل بعضها البعض. وطرق التغلب على هذا الخوف هما حلان عامان، يمكن تقسيمهما إلى خمسة حلول تفصيلية. طريقة نظرية تتمثل في تعزيز المعرفة والوعي بفلسفة الحياة والموت؛ العبرة من موت الآخرين والوعي بعدم جدوى الخوف من الموت. وطريقة عملية وهى الاستعداد للموت بالعمل الصالح والموت التطوعي. والآن شرح هذه الحلول الخمسة:

---

١. وقد أطلق الراحل نراقي على هذا الخوف اسم «الخوف الممدوح».(نراقي، لاتا: ١١٤) وقد ذكر ابن سينا في الرسالة التي كتبها حول هذا الموضوع، هذه العوامل في خلق الخوف من الموت: الجهل بالأحداث التي تنتظره بعد الموت، والافتراض بأن الموت له ألم شديد للغاية ويختلف عن الآلام والأمراض المؤدية إلى الموت. الخوف من العقاب والعقاب على الأفعال، والندم على ترك المال والأهل والأولاد.(ابن‌سينا، ١٤٠٠هـ.ق: ٣٣٩)

معرفة فلسفة الحياة والموت

«الذين يشعرون بالقلق من الموت ويأملون في حياة طويلة، لم يفحصوا الحياة الطويلة بشكل صحيح ولم يفهموا حقيقة الموت. لقد ظنوا أن الموت يعني الهلاك، وأن الإنسان يفنى عندما يموت؛ بينما الموت ليس أكثر من هجرة وهو في حد ذاته حياة جديدة؛ حياة لا يمكن مقارنتها بالحياة الدنيا»(جوادی‌آملی،١٣٨٨: ٢٩٤) لذلك لقد اهتم أمير المؤمنين (ع) أولاً بمعرفة فلسفة الحياة والموت وأنّ الإنسان خُلِقَ للآخرة لا للدنيا. إذا علم الإنسان أنه لم يخلق لهذه الدنيا وأن الهدف من خلقه هو الوصول إلى الآخرة والحياة الأبدية في الآخرة، وأن هذه الدنيا ليست أكثر من مجرد ممر وأنّ الموت هو مرحلة الانتقال والعبور إلى الآخرة؛ ففي هذه الحالة لن يخاف من الموت؛ لأنه إذا لم يكن كذلک، فهو يخاف من اكتمال ذاته. فالموت هو الانتقال من الدنيا إلى الآخرة وتطور الإنسان.

والعبارات التالية من نهج البلاغة تبين هذه النقطة جيداً:

- إنّما خلقت للآخره لاللدنيا وللفناء لاللبقاء وللموت لاللحيات(ر/٣١)
- وأنتم بنو سبيل على سفر من دار ليست بداركم وقد اوذنتم منها بالإرتحال وأُمرتم فيها بالزّاد(خ/١٨٣)
- فإنّ الدنييا لم تخلق لكم دار مقام بل خلقت لكم دار مجاز(خ/١٣٢)
- إنّ لله ملكا ينادى فى كلّ يوم، لدوا للموت اجمعوا للفناء وابنوا للخراب(خ/١٣٢)
- ألا فمايصنع بالدنيا من خلق للآخره(خ/١٥٧)

كما أن ابن سينا أيضاً يعتقد أن الجهل بأشياء مثل الجهل بحقيقة الموت؛ الجهل بمصير الروح، وفكرة أن الموت هو الهلاك والفناء؛ في حين أنّ العالم باق بعد موته وهلاكه، هو أحد أسباب الخوف من الموت، ويعتبر أن القضاء على الجهل، وزيادة المعرفة والوعي الإنساني هو الحل لهذا الخوف.(ابن‌سينا، ١٤٠٠هـ.ق: ٣٣٩)

الانتباه إلى موت الآخرين

إنّ الانتباه إلى موت الآخرين يجعل الموت أسهل. إذا خطى الآخرون أيضًا في هذا الطريق وأنّ هذا الطريق للجميع وليس طريقي الخاص، فإن هذا الاهتمام والوعي سيخفف من خوفي:

- فَإِنَّ النَّاسَ أَمَامَكُم(خ/١٦٧)
- فَكَفَى وَاعِظاً بِمَوْتَى عَايَنْتُمُوهُمْ (خ/١٨٩)
- يَا أَهْلَ الدِّيَارِ الْمُوحِشَةِ وَ الْمَحَالِّ الْمُقْفِرَةِ وَ الْقُبُورِ الْمُظْلِمَةِ، يَا أَهْلَ التُّرْبَةِ، يَا أَهْلَ الْغُرْبَةِ، يَا أَهْلَ الْوَحْدَةِ، يَا أَهْلَ الْوَحْشَةِ، أَنْتُمْ لَنَا فَرَطٌ سَابِقٌ وَ نَحْنُ لَكُمْ تَبَعٌ لَاحِقٌ (ح/١٣٠)
- كَأَنَّ الْمَوْتَ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا كُتِبَ، وَكَأَنَّ الْحَقَّ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا وَجَبَ، وَكَأَنَّ الَّذِي نَرَى مِنَ الْأَمْوَاتِ سَفْرٌ عَمَّا قَلِيلٍ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ، نُبَوِّئُهُمْ أَجْدَاثَهُمْ وَنَأْكُلُ تُرَاثَهُمْ كَأَنَّا مُخَلَّدُونَ بَعْدَهُمْ (ح/١٢٢)
- بَادِرُوا أَمْرَ الْعَامَّةِ وَخَاصَّةَ أَحَدِكُمْ وَهُوَ الْمَوْتُ (خ/١٦٧)
- رُبَّ مُسْتَقْبِلٍ يَوْماً لَيْسَ بِمُسْتَدْبِرِهِ، وَمَغْبُوطٍ فِي أَوَّلِ لَيْلِهِ قَامَتْ بَوَاكِيهِ فِي آخِرِهِ(ح/٣٨٠)

عدم جدوى الخوف من الموت

الخوف من الموت هو خوف غير مُجدٍ ويجب التخلي عنه. إذا كان الموت حقاً وضرورياً ويغطي الجميع بشكل جدي، فهو ليس لعبة أو كذبا[١]، فالخوف منه لا معنى له[٢] وعليك أن تتجنبه، ولكن يجب أن تستعد له[٣]. إنّ ملا صدرا مع تمسكه بالآيات القرآنية الكريمة وكلام أمير المؤمنين (ع) يرى أن الخوف من الموت لا فائدة منه: "بحسب الآية الكريمة"«قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» (جمعه/٨) إن الموت الذي يهرب منه الإنسان سوف يقابله حتماً. وفي هذا الصدد، لا فائدة من تقوية المزاج وتناول الأطعمة الطيبة والمشروبات القوية وجميع أنواع الأدوية والمضادات وحتى استخدام الأسلحة والدروع والاحتماء بالحصون العالية والقلاع القوية.

---

١. فَإِنَّهُ وَاللَّهِ الْجِدُّ لَا اللَّعِبُ وَالْحَقُّ لَا الْكَذِبُ، وَمَا هُوَ إِلَّا الْمَوْتُ (خ/١٣٢)

٢. فَمَا يَنْجُو مِنَ الْمَوْتِ مَنْ خَافَهُ وَلَا يُعْطَى الْبَقَاءَ مَنْ أَحَبَّهُ (خ/٣٨)

٣. وَ بَادِرُوا الْمَوْتَ الَّذِي إِنْ هَرَبْتُمْ مِنْهُ أَدْرَكَكُمْ، وَإِنْ أَقَمْتُمْ أَخَذَكُمْ، وَإِنْ نَسِيتُمُوهُ ذَكَرَكُمْ (ح/٢٠٣)

ويتابع صدرا: "إذا كنت تنوي الهروب من الموت؛ فاعلم أنّ هذه لن تنفعك. إذا جاء وقت الموت المؤكد (عند الله)، فسوف يغطي الإنسان؛ «أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ»(نساء/ ٧٨). التأكيدات الثلاثةفي الآية ٨ من سورة الجمعة؛ أي أن الفاء وحرف التوكيد والجملة الاسمية كلها تؤكد على أن الهروب لا فائدة منه. وربما الهروب من الموت هو أحد أسباب الموت؛ كما أنّ بعض العلاجات الطبية والفلكية هي في الواقع سبب للوقوع في الشيء الذي يُفَرُّ منه. ويقول أمير المؤمنين (ع) أيضاً: «كَلُّ امرءٍ لاقٍ ما يَفِرُّ مِنه وَالاَجَلُ مساقُ النفسِ والهربُ منه مُوافاتُه» (خ/١٤٧) (ملاصدرا، ١٤١١، ج٧: ٨-٢٠٧). والعبارات التالية دليل آخر على ضرورة تصحيح الخوف من الموت على هذا الأساس:

- لَا يَنْجُو مِنْهُ هَارِبُهُ وَلَا يَفُوتُهُ طَالِبُهُ وَلَا بُدَّ أَنَّهُ مُدْرِكُهُ (ر/٣١)
- إِنَّ الْمَوْتَ طَالِبٌ حَثِيثٌ، لَا يَفُوتُهُ الْمُقِيمُ وَلَا يُعْجِزُهُ الْهَارِبُ (خ/١٢٣)
- إِنْ أَقَمْتُمْ لَهُ أَخَذَكُمْ وَإِنْ فَرَرْتُمْ مِنْهُ أَدْرَكَكُمْ (ن/٢٧)
- إنّ الفارَّ لَغَيرُ مَزيدٍ في عُمرِهِ ، ولا محجوزٍ بَينَهُ وبَينَ يَومِهِ (خ/٢٠٣)
- كُلُّ امْرِئٍ لَاقٍ مَا يَفِرُّ مِنْهُ فِي فِرَارِهِ، الْأَجَلُ مَسَاقُ النَّفْسِ وَالْهَرَبُ مِنْهُ مُوَافَاتُهُ (خ/١٤٩)
- فَإِنَّ الْغَايَةَ أَمَامَكُمْ وَ نَّ وَرَاءَكُمُ السَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ (خ/١٦٧)
- فَإِنْ قَدِمَ عَلَيْكُمْ وَإِلَّا قَدِمْتُمْ عَلَيْهِ (ح/٣٥٧)
- أُوصِيكُمْ بِذِكْرِ الْمَوْتِ وَإِقْلَالِ الْغَفْلَةِ عَنْهُ (خ/١٨٨)

الاستعداد للموت

يقول أمير المؤمنين (ع) أيضًا أن هذه طريقة مهمة جدًا للتغلب على الخوف من الموت. إن الشخص المستعد للموت لم يعد يخاف من الموت ولا يمكن للموت أن يتجاهله. وللاستعداد تأثيرات ومظاهر عديدة؛ كالاستعدادات الروحية والعقلية، وكذلك الاستعداد العملي؛ لكن الإمام أكد على هذا الاستعداد بشكل عام.

- فَكُنْ مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ أَنْ يُدْرِكَكَ وَ أَنْتَ عَلَى حَالٍ سَيِّئَةٍ (ر/٣١)
- مَنْ تَذَكَّرَ بُعْدَ السَّفَرِ، اِسْتَعَدَّ (ح/٢٨٠)
- فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللَّهِ الْمَوْتَ وَقُرْبَهُ وَأَعِدُّوا لَهُ عُدَّتَهُ (ر/٢٧)
- وَأَزْمَعَ التَّرْحَالَ عِبَادُ اللَّهِ الْأَخْيَارُ وَبَاعُوا قَلِيلًا مِنَ الدُّنْيَا لَا يَبْقَى بِكَثِيرٍ مِنَ الْآخِرَةِ لَا يَفْنَى. (خ/١٨٢)
- وَبَادِرُوا الْمَوْتَ وَ غَمَرَاتِهِ وَ امْهَدُوا لَهُ قَبْلَ حُلُولِهِ وَأَعِدُّوا لَهُ قَبْلَ نُزُولِهِ (خ/١٩٠)
- وَاشدُد لَهُ إزرَکَ(ن/٣١)
- بَادِرُوا أَمْرَ الْعَامَّةِ وَخَاصَّةَ أَحَدِكُمْ وَهُوَ الْمَوْتُ (خ/١٦٧)
- وَبَادِرُوا الْمَوْتَ وَغَمَرَاتِهِ (خ/١٩٠)
- فَإِنَّهُ لَا يُرْجَى مِنْ رَجْعَةِ الْعُمُرِ مَا يُرْجَى مِنْ رَجْعَةِ الرِّزْقِ (خ/١١٤)
- كَيْفَ يَكُونُ حَالُ مَنْ يَفْنَى بِبَقَائِهِ وَ يَسْقَمُ بِصِحَّتِهِ وَيُؤْتَى مِنْ مَأْمَنِهِ (ح/١١٥)

المبادرة إلى العمل الصالح

وقد عبّر الامام (ع) عن الطريقة العملية لمواجهة هذا الخوف والقلق استعداداً للموت بالأعمال الصالحة في عدة مواضع من نهج البلاغة. إن الاعتماد على الأعمال الصالحة التي تكون ذخراً جيداً للآخرة، هو بلا شك وسيلة مطمئنة للتغلب على خوف الموت. وفي سياق الحديث عن الموت، فإن الكلمة المفتاحية «المبادرة إلى العمل» في كلام أمير المؤمنين تتكرر بكثرة، وكذلك تعايش «الأجل والأمل والعمل» في كلام الإمام، يدل على أن تأكيد الإمام على العمل يدل على تأكيده على اقتراب الأجل، والاجتناب عن الأمل، لأن الأمل وخاصة الأمل البعيد، يجعل الإنسان غافلا عن الموت. صاحب العمل لا يخاف من الأجل؛ لأنه لا يخاف من حساب الآخرة.

- لَوْ رَأَى الْعَبْدُ الْأَجَلَ وَمَصِيرَهُ، لَأَبْغَضَ الْأَمَلَ وَغُرُورَه (ح/٣٣٤)
- بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ، عُمُراً نَاكِساً، أَوْ مَرَضاً حَابِساً، أَوْ مَوْتاً خَالِساً (خ/٢٣٠)

- فَبَادِرُوا الْعَمَلَ وَخَافُوا بَغْتَهَ الْأَجَلِ (خ/١١٤)
- طُوبَى لِمَنْ بَادَرَ اَلْأَجَلَ وَاِغْتَنَمَ اَلْمَهَلَ وَتَزَوَّدَ مِنَ اَلْعَمَلِ (خ/٧٦)
- تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا، فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ (خ/٢١ و خ/١٦٧)
- فَتَزَوَّدُوا فِي أَيَّامِ الْفَنَاءِ لِأَيَّامِ الْبَقَاءِ، قَدْ دُلِلْتُمْ عَلَى الزَّادِ وَ أُمِرْتُمْ بِالظَّعْنِ (خ/١٥٧)
- ضَعْ فَخْرَكَ، وَاحْطُطْ كِبْرَكَ، وَاذْكُرْ قَبْرَكَ (ح/٣٩٨)
- اَفَلا تائِبٌ مِنْ خَطيئَتِهِ قَبْلَ مَنِيَّتِهِ؟ اَلا عامِلٌ لِنَفْسِهِ قَبْلَ يَوْمِ بُؤْسِهِ؟ اَلا وَاِنَّكُمْ فى اَيّامِ اَمَل مِنْ وَرائِهِ اَجَلٌ. فَمَنْ عَمِلَ فى اَيّامِ اَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ اَجَلِهِ فَقَدْ نَفَعَهُ عَمَلُهُ، وَلَمْ يَضُرُّهُ اَجَلُهُ. وَ نْ قَصَّرَ فى اَيّامِ اَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ اَجَلِهِ فَقَدْ خَسِرَ عَمَلُهُ، وَضَرَّهُ اَجَلُهُ. اَلا فَاعْمَلُوا فِى الرَّغْبَةِ كَما تَعْمَلُونَ فِى الرَّهْبَةِ. اَلا وَاِنّى لَمْ اَرَ كَالْجَنَّةِ نامَ طالِبُها، وَلا كَالنّارِ نامَ هارِبُها. اَلا وَاِنَّهُ مَنْ لايَنْفَعُهُ الْحَقُّ يَضُرُّهُ الْباطِلُ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَقِمْ بِهِ الْهُدى يَجُرَّ بِهِ الضَّلالُ اِلَى الرَّدى. اَلا وَاِنَّكُمْ قَدْ اُمِرْتُمْ بِالظَّعْنِ، وَدُلِلْتُمْ عَلَى الزّادِ. وَاِنَّ اَخْوَفَ ما اَخافُ عَلَيْكُمُ اتِّباعُ الْهَوى وَطُولُ الاَمَلِ. (خ/٢٨)
- يقول الإمام (ع) في الأموات: أما لَو أُذِنَ لَهُم في الكَلامِ لأَخبَرُوكُم أنَّ خَيرَ الزّادِ التَّقوى (ح/١٣٠)

«لقد اعتبر الحكماء الموت التطوعي بمثابة التحضير للموت الطبيعي. يقول خواجة نصير الدين: لقد نظر الحكماء إلى نوعين من الموت؛ واحد طوعي والآخر طبيعي. والموت الاختياري هو قتل الشهوات والتوقف عن كشفها، والموت الطبيعي هو انفصال الروح عن الجسد. والحياة أيضًا نوعان؛ الحياة التطوعية والحياة الطبيعية. والحياة الإرادية هي حياة الدنيا الفانية المشروطة بالأكل والشرب، والحياة الطبيعية هي البقاء الأبدي في الغبطة والفرح. قال الحكيم أفلاطون: مُت بالإرادةِ تَحى بالطبيعة. وقال الحكماء المتصوفه: مُوتُوا قبلَ أن تَمُوتُوا.»(خواجه نصيرالدين طوسى، ١٣٨٥: ١٨٨) «لذلك يجب أن يموت الإنسان موتاً طوعياً، لينتقل – حين أتاه الموت الطبيعي– من مضايق الزمان والمكان إلى حضرة العلى ومقعد صدق، ومستقر الأنبياء والصالحين، وينالَ الحياة الطبيعية الأبدية.» (جلال‌الدين دوانى، ١٣٩١: ١٦٥)

الشوق إلى الموت

وكلما وصل الإنسانُ إلى أعلى مراحل العمل وقمة التقوى لا يخاف من الموت فحسب، بل إنه في هذه المرحلة من الإنسانية والعمل الصالح يتوق إلى الموت، والموت شيء محبب ومقبول عنده. "الموت لأولياء الله هو أول راحة وأول سعادة ونعيم، وهو ألذ لذة، ومعرفة هذا الجزء يمكن الحصول عليها أيضا من أخبار الأنبياء والأئمة عليهم السلام، وكذلك مما لوحظ من أولياء الله إلى أي مدى كان لديهم شغف بالله وعبّروا عن شغفهم بالموت».(ملكى‌تبريزى،١٣٦٠: ٢٠٧) وحضرة الأمير (ع) في هذا الموقف له أقوال تعبر عن قبول حضرته للموت، لأن الموت يساوي لقاء المحبوب.:

- إنّ أحَبَّ ما أنا لاقٍ إلَيَّ المِوتُ (خ/١٨٠)
- وَدَاعِي لَكُمْ وَدَاعُ امْرِئٍ مُرْصِدٍ لِلتَّلَاقِي (خ/١٤٩)
- وَاللَّهِ لَابْنُ أَبِي طَالِبٍ آنَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ [1](خ/٥)
- أَحَبُّ اللِّقَاءِ إِلَيْهِمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ، مُتَسَرْبِلِينَ سَرَابِيلَ الْمَوْتِ (ن/٢٨) تصف هذه الجملة بني هاشم و حضرة الأمير (ع) منهم.
- وَلَوْ لَا الْأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ [لَهُمْ] عَلَيْهِمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ شَوْقاً إِلَى الثَّوَابِ (خ/١٩٣) وقال الإمام هذه الجملة أيضاً في خاصة شيعته.

وعن الشهداء والذين قُتلوا في سبيل الله، هناك أيضًا عبارات في نهج البلاغة تتحدث عن اشتياقهم للموت. في نظر هذه المجموعة، كما أن الحياة الجسدية في حد ذاتها ليس لها قيمة جوهرية، بل الحياة المضطهدة والمهزومة والمصروفة في الذل والمهانة والمقضية في عصيان

١. وأكد المرحوم النراجي على رغبة الأمير (ع) في الموت ويقول: إن رؤية الموت عيباً ومهانة هو نتيجة الإهمال والجهل بحقيقة الموت؛ في حين أن الشخص الكامل مثل أمير المؤمنين (ع) يشتاق إلى الموت. لذلك يجب إزالة هذا الجهل.(نراقى، بى تا: ١١٤)

الله ليس لها أيضا قيمة. وفي رأيهم أن الموت في سبيل طاعة الله أفضل من الحياة الدنيوية والظاهرية[١]. وفي هذه الحالة فإن الطيبين والصالحين يفضلون الموت والقتل في سبيل الله ويرحبون به:

- وَامْشُوا إِلَى الْمَوْتِ مَشْياً سُجُحاً (خ/١٢٣) وهذا دعوة لاستقبال الشهادة والرضا بها.
- أَكْرَمَ الْمَوْتِ الْقَتْلُ، وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِهِ لَأَلْفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ مِيتَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ (خ/١٢٣)
- وَأَزْمَعَ التِّرْحَالُ عِبَادَ اللهِ الأَخيَار(خ/١٨٢)

الخاتمة والاستنتاجات

إن الأسباب السبعة للخوف أو الكراهية من الموت التي وردت في كلام أمير المؤمنين (ع) يمكن تلخيصها في ثلاثة أسباب:

السبب الأول هو الضعف المعرفي ويعود إلى عدم فهم حقيقة الموت. ومع أن الإمام (ع) قد أشار إلى مثالين لضعف إدراك الإنسان في مواجهة الموت؛ لكن مما لا شك فيه أن نطاق هذا الضعف أوسع من ذلك بكثير. ما هو حقيقة الموت؟ وما هو سبب موت الجسد؟ ولماذا النقل من الدنيا؟ هل الموت غير مؤلم أم يصحبه الألم؟ وهل الجميع متساوون في تَحَمُّل الموت؟ ولماذا؟ ماذا سيحدث بعد الموت؟ هل هناك عذاب أم روح وريحان؟ وهل يتشوّق الإنسان إلى أهله هناك أم لا؟ هل يرى أقاربه المتوفين أم لا؟ ما هو نوع الجسم الذي نحن معه هناك؟ أين الإنسان بين الموت والقيامة؟ هذه الأسئلة وعشرات الأسئلة الأخرى والغموض الجزئية والكلية الأخرى توجد في هذا المجال؛ وكلها مصاديق على عدم معرفة الإنسان بالموت.

ورغم أن هذا الضعف وعدم الفهم هو مصدر أسباب أخرى للخوف من الموت، إلا أنه إذا حقق الإنسان معرفة يقينية للمعارف الدينية والفلسفية الأساسية والعميقة في هذا المجال، فإن الكثير من هذه المخاوف ستبدو بلا جدوى و تافهة.

السبب الأساسي الثاني الذي تعود إليه كثير من الأسباب هو فكرة أن الجسد هو الذات الحقيقية للإنسان. وعلى هذا، بما أنّ الموت هو سبب هلاك الجسده من وجهة نظر الإنسان الذي يخاف من الموت، فإنه يجده مخيفاً ويخاف من الموت لما يسببه من آلام على جسده أثناء مرضه وفي حالة احتضاره. الموت يدمر ملذاته الجسدية وجماله الجسدي. كما أنه يتسبب في استمرار العالم المادي بدونه. يقطع الموت سلسلة الرغبات التي تتعلق في معظمها بالحياة الدنيوية والجسدية.

كما أنه يخاف من القبر لأنه يسبب التعفن والتفكك في جسده المحبوب والمألوف الذي يبدو أنه نفسه الحقيقى. وكما لوحظ، فإن الإمام (ع) قد أكد على حساسية هذا الخوف وأهميته بمختلف الطرق المذكورة. وبالطبع فإن هذه المخاوف التي هي كلها مخاوف للجسد، هي طبيعية وهي آلية غرسها الله تعالى في النفس البشرية لحماية الجسد حتى يتطور في ظل الرفقة مع الجسم. لكن في الوقت نفسه، فإن الإنسان الذي يؤمن بالقدر الإلهي، عندما يأتي وقت الموت وانفصال الروح عن الجسد، يكون قادرًا على التغلب على هذا الخوف بفضل المعرفة اليقينية. ويخفف الإمام هذا الألم إلى حد ما بالحلول المقدمة في الجزء الثاني من المقال.

السبب الثالث للخوف من الموت هو الخوف من الآخرة والخوف من أحداث ما بعد الموت، ومصدره الخوف من الله والعدالة الإلهية، ومرجعه هو الخوف من النفس والضعف النفساني. مما يترتب عليه ضعف التقوى وعدم الكف عن المعصية. وبحسب تفسير كبار فلاسفة المشّاء، فإن هذا الخوف هو أيضًا نوع من الضعف المعرفي: فالشخص الذي يخاف من عقاب الآخرة، يعترف بحقيقتين؛ خطاياه ووجود الحاكم العادل. لذا فهو في الحقيقة يجهل ما يجب أن يخاف منه. وينبغي أن يخاف من نفسه ومن ذنوبه، وعلاج هذا الخوف هو المعرفة، واليقين بطريق السعادة.(ابن‌سينا، ١٤٠٠هـ.ق: ٤٦- ٣٣٩)

ويجدر بالذكر أن الخوف من الفناء لم يرد صراحة في

١. فَالْمَوْتُ فِي حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ وَالْحَيَاةُ فِي مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ (خ/٥١)

أسباب الإمام (ع)؛ ربما لأن الخوف من القبر والموت هو في الواقع الخوف من الفناء، وهذا يكمن في قلب كل خوف من الموت. وربما لأن الفرضية عند الإمام وجمهوره في ذلك العصر هي الإيمان بالبعث واستمرار الحياة في الآخرة. ولذلك، لم يتم ذكر هذا الخوف صراحة.[1]

ويرى المؤلفان أن ابتكار هذا البحث تكمن في فكرة أن أسلوب الإمام (ع) في الحديث عن الموت هو قرع طبول الخوف من الموت؛ ويبدو أنه خلافاً لطريقة الكثير من العلماء والمفكرين في مجال الفلسفة والأخلاق الذين يحاولون باستمرار أن يتحدثوا عن علاج هذا الخوف؛ يصف الإمام اللحظات التي تسبق الموت وبعده بشكل دقيق ومرعب لدرجة أنه يريد عمداً زرع الخوف من الموت في نفوس الناس.

فربما كان من الأفضل وضع عنوان البحث من وجهة نظر أمير المؤمنين: لماذا يجب أن نخاف من الموت؟[2]؟ بدلا من: لماذا يجب أن لا نخاف من الموت؟ تجدر الإشارة إلى أن حضرة الأمير (ع) لم يناقش مقاصد هذه المقالة بشكل مباشر، وما ورد هنا هو فقط استدلال المؤلفين وقراءتهم للمواضيع المتعلقة بالموت في نهج البلاغة. ولذلك، فمن خلال وصف الإمام للموت، حاول الكاتبان دائمًا التعرف على أسباب الخوف وطرق علاجه؛ في حين يبدو أن الإمام يريد عمداً ولأسباب أخلاقية إثارة هذا الخوف عند الغافلين، وليس إطفائه. خوف عميق في أذهان جميع الناس الذين يحاول معظمهم تجاهله.

لذلك فإن وجهة نظر الإمام في الموضوع مختلفة. ويوقظ أمير المؤمنين هذا الخوف المتغافل عنه بتحذيراته، بحيث في ظل هذا الخوف تستيقظ في وجود الإنسان الإجراءات العملية للتخلص منه والتفكير في المستقبل القريب. لذلك، وخلافاً للاعتبارات الأخرى التي غالباً ما ترى وجوب مواجهة الخوف من الموت، فإن الروح الحاكمة في تفاسير الإمام (ع) هو أن الإنسان يجب أن يتغلب أولاً على هذا الخوف، ثم يفكر بعد ذلك في الحصول على التخلص منه. ويجب الانتباه إلى أن الجو المسيطر على خطاب الإمام هو جو ديني من يملؤه الإيمان والاعتقاد بالآخرة.

أما الطرق الخمسة للتغلب على هذا الخوف والكراهية تعود إلى طريقتين رئيسيتين:

الطريقة الأولى والأكثر فعالية هي التعرف على الموضوع وتعزيزه. الدليل الأول إلى الثالث يؤدي إلى هذا الطريق. معرفة فلسفة الحياة والموت، وضرورة الوعي والاهتمام بموت الآخرين، وهو أيضًا علامة على موتي، وضرورة الوعي والاهتمام العميق بعدم جدوى الخوف من شيء ما سيحدث، كل ذلك في اتجاه تعزيز البعد المعرفي الإنساني فيما يتعلق بالموت.

الطريقة الثانية هي الخروج من مرحلة الرأي والدعوة للدخول في مرحلة العمل. أما الطريقان الرابع والخامس فيعودان إلى هذا الطريق. إن الطريقة الأكثر منطقية للتغلب على هذا الأمر الحقيقي، الذي ليس فيه أكاذيب أو أخطاء، هي أن نجهز أنفسنا مسبقا لمواجهته. إن اتباع أسلوب حياة صالحة والسير على طريق الطاعة الإلهية يحمينا من مخاطر وأحداث ما بعد الموت، وعلى مستويات عالية جدًا، يجعل الإنسان حريصًا على اجتياز حياة الدنيا والوصول إلى الموطن الأصلي الذي خلق من أجله. يختفي منه الخوف من مغادرة الدنيا.

فكما قيل من قبل- والمؤلفان يعتقدان ذلك أيضًا-؛ فإذا كان قصد الإمام من الوصف الدقيق للموت هو: لماذا ولأي سبب يجب أن نخاف من الموت؟ ففي هذه الحالة يكون العلاج عديم الجدوى، وما يستدل به من طرق التغلب على هذا الخوف، هو في اتجاه الاستعداد أكثر لمواجهة هذا الخوف. وبهذا المنطق، فإن عبث هذا الخوف الذي أكد عليه الإمام كثيراً، يأخذ معنى آخر.

---

١. ويرى الملا أحمد نراقي أن حل قضية الخوف من الفناء والعدم يكمن في المسائل المعرفية، ويرى: بالنسبة لمن يعتبر الموت فناء، إن الحل هو دراسة أصول العقائد وتصحيحها، بالأدلة القوية. وحجته في عدم معقولية الخوف من الموت هي كما يلي: إذا كان الموت عدماً، فلا يوجد في العدم ما يمكن للإنسان أن يخافه، وبالتالي فإن العدم ليس مؤلما. كما أن نصيحته هي الجهاد والعبادة، وهو يعتقد أنه يرى أثرها (نراقی، بی تا: ١١٤)

٢. ومن الملفت أن ابن مسكويه قد وضع عنوان الموضوع بنفس الطريقة في طهارة الأعراق.

المصادر

القرآن الكريم

نهج البلاغه ترجمة محمد دشتى

ابن‌سينا، حسين‌بن‌عبدالله(١٤٠٠ق) رسائل الشيخ الرئيس أبى‌على‌الحسين بن عبدالله بن‌سينا، قم، بيدار.

ابوعلى مسكويه رازى، أحمد بن‌محمد(١٣٧٥) كيمياى سعادت ترجمة طهارة الاعرق، مترجم ميرزا ابوطالب زنجانى، مقدمه و تصحيح ابوالقاسم امامى، طهران، نشر نقطه و دفتر ميراث مكتوب.

راغب اصفهانى، حسين بن محمد(١٣٨٧) مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ترجمة حسين خداپرست، تحت إشراف عقيقى بخشايشى، قم، مكتب نشر نويد اسلام.

جلال‌الدين دوانى، محمد(١٣٩١) اخلاق جلالى، تصحيح عبدالله مسعودى آرانى، تهران، اطلاعات.

جوادى آملى، عبدالله(١٣٧٧) مراحل الأخلاق في القرآن، التفسير الموضوعى للقرآن الكريم، ج١١، قم، نشر اسراء.

خواجه نصيرالدين طوسى، محمدبن حسن(١٣٨٥) اخلاق ناصرى، تصحيح و تنقيح مجتبى مينوى و عليرضا حيدرى، طهران، خوارزمى.

سجادى، سيّد جعفر(١٣٧٠) معجم لغات واصطلاحات وتعابير عرفانى، طهران، مكتبة طهورى.

صدرالدين‌شيرازى، محمدبن‌ابراهيم(١٤١١ق) تفسيرالقرآن، تصحيح محمد خواجوى، ج٧، قم، بيدار.

صليبا، جميل، المعجم الفلسفى(١٣٦٦) ترجمة منوچهر صانعى درّه بيدى، حكمت، طهران.

طباطبايى، محمدحسين(١٣٦٩) الإنسان من البداية حتى النهاية، الترجمه والتعليق صادق لاريجانى آملى، طهران، الزهرا.

موسوى خمينى، روح‌الله(١٣٦٠) سرّالصلوة أو صلوة العارفين و معراج السالكين، مقدمة و ترجمة آيات و روايات و تصحيح سيد أحمد فهرى، طهران، بيام آزادى.

مطهرى، مرتضى(١٣٧٨) الحِكَم و العِبَر، طهران، صدر.

معين، محمد(١٣٦٤) القاموس الفارسى، طهران، اميركبير

ملكى تبريزى، ميرزاجواد(١٣٦٠) رسالة لقاءالله، مقدمة، ترجمة، توضيح، تعليق وإضافات سيد أحمد فهرى، طهران، نهضة النسوة المسلمة.

نراقى، ملّا احمد(لاتا) معراج السادة، لامک، جاويدان.

ترس از مرگ و درمان آن از منظر نهج البلاغه

ناصر محمدی*[1]، حسن عباسی حسین‌آبادی[2]

تاریخ دریافت: ۱۴۰۱/۰۴/۱۵ تاریخ پذیرش: ۱۴۰۱/۱۲/۰۶

۱. استاد، گروه فلسفه و کلام، دانشگاه پیام نور، تهران، ایران
۲. دانشیار، گروه فلسفه و کلام، دانشگاه پیام نور، تهران، ایران

چکیده

بدون تردید در زندگی ترسی بالاتر از ترس از مرگ نیست و این ترس بزرگترین دغدغه خاطر هر انسانی است؛ چراکه آدمی به بقاء و حیات جاوید متمایل است و تصور فنا و نابودی برایش سخت و ناگوار است. این مقاله به روش توصیفی و اسنادی و با تکیه بر تحلیل محتوا به این نتیجه رسیده است که؛ «چرا از مرگ می‌ترسیم؟» در کلام امام(ع) به «چرا باید از مرگ بترسیم؟» قابل تحویل است. حضرت امیر(ع) در جای‌جای نهج‌البلاغه درصدد ترسیم تصویری ترسناک از ایّام متصل به مرگ، خود مرگ و حوادث پس از مرگ است. گویا این تصویرسازی در راستای یک هدف اخلاقی؛ یعنی رفع غفلت از نوع انسان است که دنیازدگی وجه غالب اوست. ترس از مرگ به هفت دلیل است که به سه دلیل فروکاسته می‌شود. ضعف شناخت و کوتاهی فهم از درک حقیقت مرگ؛ تصور جسم به‌عنوان حقیقت انسان و خود واقعی؛ و سوم ترس از گناه و عدل الهی که به‌واقع ترس از خود است. اما راه‌های غلبه بر این ترس پنج راه جزئی است که به دو راه‌حلّ کلی قابل تقسیم است. یک راه نظری که عبارت است از تقویت شناخت و آگاهی از فلسفه مرگ و زندگی؛ عبرت و آگاهی از مرگ دیگران و آگاهی از بیهودگی ترس از مرگ. و یک راه عملی که آمادگی و تدارک از برای مرگ است از طریق عمل صالح و مرگ ارادی.

کلیدواژه‌ها: ترس از مرگ؛ فلسفه مرگ؛ مرگ ارادی؛ من حقیقی؛ بدن، نهج‌البلاغه.

COPYRIGHTS
© 2022 by the authors. Lisensee PNU, Tehran, Iran. This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution 4.0 International (CC BY4.0) (http:/creativecommons.org/licenses/by/4.0)